الرفاعى

للاستاذ محمد على الطعمى
واعظ مركز نجع حمادى

نحن الآن مع بطل من أبطال التصوف الاسلامى المشهود لهم بالورع وفطانة العقل وقوة الايمان ، ظل يمارس حياة التعبد والتبتل حتى غمرته فيوضات سماوية جعلته يسبح فى ملكوت من المعرفة واليقين ، فلا غرو ان حدث عنه التاريخ وسجل له صحائف من المجد والزهد وقوة الشخصية .

ولد سنة ٥٠٠ فى أرض البطائح ، وله نسب يتصل ببنى رفاعه من قبائل العرب ، وقد نشأ كريما يحترم الصلاة ويخشى الله وينأى عن سفاف الامور وصغائر الاشياء .

لقى مرة « عبد الملك » الناسك فقال له أوصنى ، فقال « ما أقبح الجهل بالاولياء والعلة بالاطباء والجفاء بالاحباء » قال الرفاعى سمعت هذه النصيحة من هذا الناسك ، فوعاها قلبى واستوعبتها نفسى فاتخذتها سبيلى الى الفتح والتهذيب حتى انكشف لى ما كان خافيا ، وعلمت ما لم أكن أعلم .

أعرض الرفاعى فى صدر حياته عن زهرة الدنيا وطمع فى الآخرة بالعمل والمثابرة وصيام النهار وقيام الليل ، كذلك تقرب الى الفقراء والمساكين ، فكان يغشى مجالسهم ويطيل السمر معهم بعد أن يحمل لهم الطعام والشراب وما يشتهون ، وكان كثير الترداد على المرضى من أصحابه وغير أصحابه ليحمل نفوسهم على الصبر ويباعد بينهم وبين الجزع والفزع وقلق الروح وعذاب الضمير ، وكانت له مجالس علمية لا تنفض يلقى فيها العظات المؤثرة التى تشق طريقها الى الاسماع والقلوب . قال لاتباعه مرة « من تمشيخ عليكم فتتلمذوا له فان مد يده لكم لتقبلوها فقبلوا رجله ، فان الضربة أول ماتقع تقع على الرأس »

على هذا المنوال الذاكى اخذ الشيخ يربى تلاميذه ويمرنهم على التواضع الكلى الذى به يصير المريد محبوبا مع الله والناس ، ويحول بينهم وبين الكبر الذى أطاح بابليس وجعله منفيا من رحمة الله ..

أرسل اليه بعض حاقديه كتابا يشتمه فيه ، فلما اطلع عليه ابتسم وكتب اليه يطلب منه العفو ، ثم ختم كتابه بهذا البيت

ولست أبالى من زمانى بريبة . اذا كنت عند الله غير مريب

بهذا اللون الصوفى الرائع ذاع صيت الشيخ الرفاعى وهرع اليه الاتباع والمريدون من كل فج وبايعوه بالاستاذية ، فركب بهم سفينة النجاة التى مخرت فى بحر التصوف المستنير الذى لا يحيد عن كتاب الله وسنة رسوله ، وتلك عظمة نفسية لا يسمو اليها الا كبار العارفين .